الصفحات الأخيرة من مذكرات شهيد ...

شعر: أحمد نور فهيم
الأردن

قاتلتِ بالذكرى على ذكرِ الذي (كنا)..
وقاومتِ التصحر بانبثاقِ الحر كالصقرِ المدجن ،
واستبحتِ العذرَ كي تبقى على قيدِ الرحيل المر ، آه ...
واعتليتِ الموجَ حين تحاصرتْ شهقاتُه بشواطئ الإسمنتِ ،
فاستلّيه سيفاً حين تقضي رعشة الحب الزُّعافِ من الكرى وطرا ...
أيا عيناً بحذف النار يوقدُ ضوؤُها ،
وبها من الأحرار جزءٌ غارق في النور يجعلها ترى
وجزاءُ ما أسداه لا عيناً تراه ،
وذا نسيمُ الساحلِ الشرقي والمنفي يحكي ما يرى ،
قال النسيمُ : عجبت من أمرِ العيونِ الجاحداتِ
يكفُ ضوءُ العينِ حين يكف هذا الجزء منها .
قلتُ – يا لون اندثاري حين تسكبنيُ الحروف من القوالبِ
كي تعيش على مسلات الخلودِ – : كمثل تلك العينِ
هذي الأرض إذ قد أبصرتْ بي ثم لم ترني
وصارت في ظلام الصبحِ تجري
حيثما تدري ولا تَدري .

* * *

تغارُ الأرض – ربي قد أبيتَ
بأن يكون الليل قطباً واحداً فملأته شهباً وأقماراً
له حسناً وحصناً قاهراً فيه السواد – من السماءِ
الأرضُ تجهشُ بالبكاء ،
سموتَ في ملكوتكَ العالي على عرشِ العروشِ على المياهِ
كما يليقُ بنورِ وجهكَ يا عظيم ،
عدلتَ إذ أمهلتَ من يطغى
وما أهملتَ حين قضيتَ بالبلوى على الخلق الذين تحبهم
فازدد رضىً ... نزدد كصخرةِ صبرنا صبراً...
ويشتد احمرارُ الجمرِ في رملِ القفارِ السمرِ
ينكفئ الكبدُ ، أحدٌ أحدْ !
لا والداً لك .. لا ولدْ ...

* * *

والأرضُ ترفعُ وجهها
مِن قطعةِ النّطع الوسيعةِ / بقعةِ القطعِ السريعِ
هناك حيثُ صارَ الموتُ موقتاً ومؤقتاً ،
الأرضُ تبكي من عيونٍ في دمي ،
وكأنني نصفٌ أُعدُّ لحلميَ المدفون في أملاحها ، والنرجسُ الحصريُّ في
نصفٍ لجسمي : ليس لي ....
آمنتُ أن لا شيءَ لي .

* * *

ليَ ما اكتسبتُ وللثعالبِ ما كسبتُ ، مبعثراً
كفٌ تُلملمني إذا شاءت لتنثرني على عبثٍ ،
كأني غبتُ عني عندما حاولتُ أن أرثَ
الدموعَ،
وجدتُ أني قد خرجتُ من الصقيع إلى اللظى...
جدليةُ الماضي ، وأوَّلُ من تفاجأ بالسرابِ
وآخرُ الكلماتِ للصلصالِ في الدنيا أنا ،
وأنا أنينُ المفعمينَ بقتلهم ،
وأنا حصارُ الروحُ بالجسدِ التي ضاقتْ به،
وهو المكلُ بالقروح غداً يضيق بها
فهل في جعبةِ اللحظات للإيجاز من وقتٍ

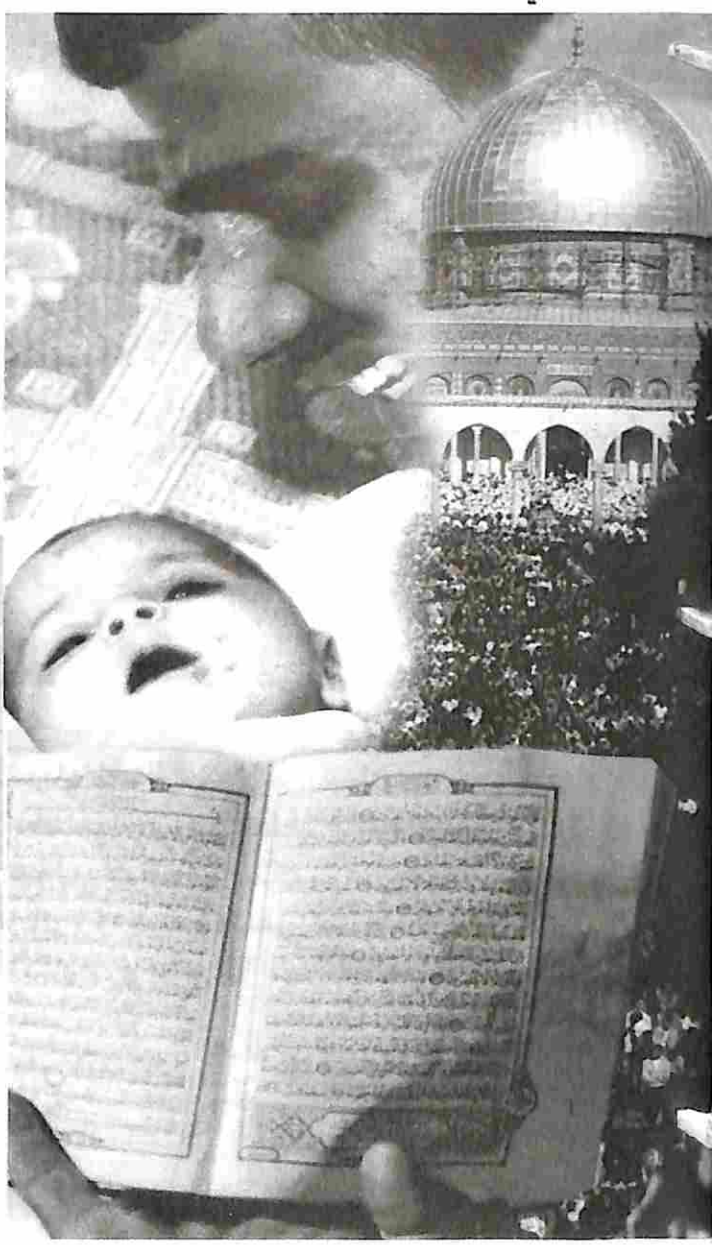

عن الظلم المنظمِ ؟
لا

* * *

لا وقتَ للإيجازِ عن جذرٍ تغلغلَ في ترابِ القلبِ
واجتافَ الصخورَ به لكيْ يخضرَّ شريانُ الهوى ،
أفبعدما نَضَبتْ دماءُ الجوفِ منه ، ولا مجيرَ له سواه ،
تركتم الطفلَ الذي في مثل عمرِ الوردِ يسقي قلبَ والدِهِ
دما !!
لكأنَّ لا رحلاً يُشدُّ لما تباركَ حولَه
وهو المكلفُ وحدَهُ ، وهو المخوَّلُ للتسابيحِ التي ،
يرتشُّ وجهُ الفجرِ منها عند أولى القبلتينَ
ولا شريكَ له بها ، وسألتُ نفسي وقتَها :
هل تحت تلك القُبَّةِ البيضاءِ ثمةَ صخرةٌ
عرجتْ بذاتِ المصطفى نحو السماء ؟!
وهل هناك من الرعاةِ – المالكينَ رقابَ خير قطيع أغنامٍ
– نساء ؟! هل الأنوثةُ لا تزالُ العذرَ في جبنٍ توشَّحَ
باعوجاج الضلع والغُنج المعارِ ؟!
هل الصبَايا فوقَ تلكَ الأرضِ – حورُ العين – لم يشعرنَ
بالصهرِ المباغتِ للأساورِ في (معاصمهنَّ)
أم لا شيءَ يؤذي الروحَ حين السلخ بعد الذبح ، لا وقتاً
لأوجزَ ما تعسرَ هضمهُ في القلبِ لكني أرى صوتاً
يساقطهُ الجليدُ على المدارِ وتختفي – قبلَ انتصافِ
الأرضِ
من إيقاعهِ – النارُ ، إذا عُدَّت كلاماً بارداً بين الحوارِ ،
الصوتُ يصرخُ هامساً : من ذا الذي
قدْ جاءَ من اقصى الكواكِبِ يقتفي
أثرَ المجانينِ الذين تمرَّغوا في الحب ، في حُبِّ التي
غسلت وغلَّت في الهوى يدها ، هي امرأةٌ تُحَبُّ وقد
تُحِبُّ
وليس للعشاق أن يتيقنوا في قلبِها حباً
فقلتُ : أنا لهم
آتٍ لأسكبَ روحيَ الثكلى على أرواحِهم
علِّي أصيرُ – إذا اقتبستُ لظلمةِ الدَّربِ المقطَّعِ
جذوةَ السفرِ الطويلِ – لها
أنا الجاني القتيلُ بها ،
وهذا الشِّعرُ من فرطِ الجوى
أحببتُها حتى غدا ظِلي يُشاهدُ ضَوءَهُ
والضوءُ صارَ يُشاهدُ الظِّلا .